دور مدينة الكاظمية في مقاومة الاحتلال البريطاني في العراق (1914 - 1920 م)

م. د. اسماعيل طه الجابري
المديرية العامة لتربية بحافظة بغداد– الكرخ
معهد الجوادين للمعلمين

المقدمة

أصبح العراق في عام 1914 ساحة للمعارك التي دارت بين البريطانيين بوصفهم قادة دول الحلفاء وبين العثمانيين الذين انظموا لدول الوسط بزعامة المانيا . فنزلت القوات البريطانية في مدينة الفاو في الخامس من تشرين الثاني سنة 1914 وواصلت زحفها حتى احتلت البصرة في الرابع عشر من تشرين الثاني من العام نفسه، وعندها ارسل وجهاء البصرة رسائل الاستغاثة الى مراجع الدين في النجف وكربلاء والكاظمية للمساعدة في اسنادهم والوقوف بوجه الزحف البريطاني من اجل حماية المقدسات، فبعث مراجع الدين برسائلهم الى شيوخ العشائر للعمل على جمع المتطوعين للدفاع عن البصرة ، كما جهزت الدولة العثمانية بوصفها محتلة للعراق جيشا نظاميا للدفاع عن العراق كونه احدى ولايات الدولة .

استعدت مدينة الكاظمية وبتوجيه من مراجع النجف الاشرف لتجهيز جيش من المتطوعين يقوده علماء الدين في المدينة، حيث اصدرت الفتاوى المؤيدة لحركة الجهاد، اذ عمل مراجعها وعلى وجه الخصوص السيد مهدي الحيدري والشيخ مهدي الخالصي على تهيئة المجاهدين وتحشيد العشائر وبث الحماس في نفوس عامة الناس، حتى غدى يوم الانطلاق نحو البصرة مناسبة مهمة عبر خلالها المجاهدين عن سرورهم في الدفاع عن البصرة من خلال الاهازيج التي كانوا يرددونها .

يتضمن البحث محورين هما :

الاول : تحت عنوان: دور المجاهدين في مدينة الكاظمية في الدفاع عن البصرة ضد الاحتلال البريطاني1914 1915 . اذ سيتناول الباحث فيه الاستعدادات الاولى التي شملت اصدار الفتاوى المحفزة على الجهاد وجمع المجاهدين والتبرعات والمؤن، ومن ثم الاستعداد ليوم الانطلاق تحت قيادة العالمين الكبيرين الحيدري والخالصي ، ثم التأكيد على دورهما المتميز في القيادة والقتال وجهودهما في تعزيز الحالة النفسية ليس للمجاهدين فحسب، بل والمقاتلين في الجيش النظامي العثماني .

الثاني : دور مدينة الكاظمية وعلمائها في الاستفتاء على شكل الحكم في العراق بعد احتلال بغداد 1918 1920 ، حيث شهدت هذه المدة صدور التصريح البريطاني الفرنسي في الثامن من تشرين الثاني 1918 والقاضي بحق الشعوب التي تحت احتلالهما في تشكيل حكومات وادارات وطنية ، فعملت الادارة البريطانية على اجراء استفتاء على نوع الحكم في العراق ، وقد حرك هذا الطرح الشارع العراقي ومنه الشارع الكاظمي اذ كانت له ولعلمائه وحركته الوطنية دورا مهما في عقد المؤتمرات والاجتماعات واجراء الاستفتاءات التي تضمنت مطالب الجماهير في نوع الحكم وشكل الادارة .

المحور الاول : دور المجاهدين في مدينة الكاظمية في الدفاع عن مدينة البصرة ضد الاحتلال البريطاني 1914 1915

نزلت القوات البريطانية في الفاو في 6 تشرين الثاني سنة 1914 ،ثم واصلت زحفها نحو مدينة البصرة ودخلتها في 22 تشرين الثاني في السنة ذاتها[1]، وعندما شعر اهل البصرة بخطر الاحتلال ارسلوا برقيات الاستغاثة الى المدن المقدسة النجف وكربلاء والكاظمية ، وكانت تنص على :" ثغر البصرة ، الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الاسلام ، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع"[2].

كان لهذه الرسالة وقعا مؤثرا في نفوس المراجع الدينية في النجف وكربلاء والكاظمية ، فقد عدَو البصرة الجدار الحامي للمدن المقدسة ، فأذا ماتم اقتحامه فأ ن المقدسات ستصبح عرضة لهجوم الكفار عليها،فوقفوا مع الدولة العثمانية في الدفاع عن البلاد كونها دولة مسلمة والمحتل كافر ، فتناسوا معاملة العثمانيين لهم التي تمثلت بالظلم والاضطهاد والابعاد [3] .

استجابت الكاظمية لنداء البصرة، واصدر علمائها المجتهدون حينذاك الفتاوى المحفزة على الجهاد ،فأصدر السيد مهدي الحيدري وهو احد كبار العلماء المجتهدين في الكاظمية فتواه المعنونة" الجهاد ..الجهاد .. النفير .. النفير" مؤكدا على وجوب الدفاع عن بلاد الاسلام والذود عن حياة المسلمين وحفظ الاسلام ومحاربة الغزاة المعتدين[4].

كما اصدر في الوقت ذاته الشيخ محمد مهدي الخالصي (الكبير)، والذي كان اشد الناس حماسا للجهاد رسالة بعنوان " الحسام البتار في جهاد الكفار"[5]، أكد فيها على ضرورة جهاد المحتلين الذين يرومون تدنيس المقدسات، كما اردف تلك الرسالة بحكم شرعي اوجب فيه على المسلمين صرف جميع اموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفار، وذهب الشيخ الى ابعد من ذلك حينما اكد على ان من يمتنع عن بذل ماله وجب اخذه منه كرها[6].

وتحول بعد ذلك كل من السيد الحيدري والشيخ الخالصي الى المواقف العملية في تحشيد المواطنين وتحفيزهم على المشاركة في الجهاد ، فدعى السيد مهدي الحيدري الى الاجتماع في صحن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فأزدحم الصحن على سعته بالناس ، ثم ارتقى منبرا اعد له ودعا الناس الى الجهاد وحثهم على الكفاح وحرضهم على الاقدام ، كما راح في الوقت ذاته يحذر المتخاذلين من مغبة تخاذلهم ويبلغهم حكمه وفتواه، مؤكدا على انه خارج بنفسه واولاده وبعض من اسرته[7] .

كما دعا المجتهد الشيخ الخالصي علماء الكاظمية الى اجتماع في غرفة كليدار الروضة الكاظمية للمداولة في امر الجهاد واصدار الحكم فيه، ورغم الاختلاف في وجهات النظر بين المجتمعين حول آلية مقاومة الاحتلال وكيفيتها، الا ان نتيجة النقاش افضت الى ضرورة الخروج لمواجهة القوات البريطانية ووجوب الدفاع عن البلاد الاسلامية رغم تحذيرات اصحاب الرأي الاخر الذي اعتذر بالتفوق العددي والاستعداد بالتسليح للبريطانيين والذي لم يمتلك المجاهدون ما يوازيها[8].

ابرق السيد مهدي الحيدري بعد ان اكمل الاستعدادات المعنوية في التحشيد والتحفيز على الجهاد ، الى علماء النجف وكربلاء وسامراء يخبرهم بعزمه على الخروج للجهاد في ساحة الحرب مهما كلفه الامر، فأستقبلت النجف هذا الموضوع بالاستعداد والتهيئة للحاق به. فتحرك وفد النجف [9] بالفعل في السابع من شهر محرم سنة 1333هـ /

1914 م نحو بغداد التي وصلها في اليوم العاشر من الشهر ذاته ، الموافق ليوم 29 تشرين الثاني سنة 1914م(10) .

توافق هذا الحدث مع ايام العشرة الاولى من شهر محرم الحرام المصادف ذكرى استشهاد الامام الحسين عليه السلام ، اذ استثمرت عواطف الناس الملتهبة حنقا وغضبا على مقتل الامام على ايدي الظالمين، فكان لذلك اثره الواضح في الهاب حماس الناس في الانضمام الى المجاهدين، وقد انعكس ذلك الحماس على الاشعار والاهازيج التي كانت ترددها المواكب الحسينية التي تدخل الى مدينة الكاظمية معزية بذكرى عاشوراء والتي حفزت الناس على الالتحاق بالمجاهدين لمواجهة المحتل الكافر والداعية لنصرة الدولة العثمانية المسلمة . فكان منها على سبيل المثال لاالحصر:"يا طارش الانكلترا وفرانسا ولروسها... ان ما تطيع لحكمنا بالسيف نكطع روسها ، او اهزوجة : حيدر ياعزنا وسورالنا .... بحلق الفاو يحق طوب النا [11] .

وتجمع في ظل هذه الاجواء الحماسية عدد من شباب الكاظمية قد رعددهم بنحو مائتي شاب وساروا يوم 19 تشرين الثاني 1914م بموكب في شوارع مدينة بغداد مشيا على الاقدام وهم يرددون الاهازيج الشعبية، وعند وصولهم منطقة باب المعظم في بغداد انظموا الى الجماهير المحتشدة في ساحة القلعة في باب المعظم وصعد الخطباء يلهبون حماس الجماهير بخطبهم، حتى التحمت بغداد مع الكاظمية ، واغلقت العديد من المحلات التجارية ابوابها تظامنا مع الجماهير الزاحفة ، كما بذل الحاج داود ابو التمن الكثير من الاموال وجعلها تحت تصرف المجاهدين[12] .

تحرك موكب الجهاد من مدينة الكاظمية المقدسة في عصر يوم الثلاثاء الثاني عشر من محرم الحرام سنة 1333هـ ، الموافق للأول من كانون الاول سنة 1914م ، اذ تقدم الموكب السيد مهدي الحيدري الذي التحق به عشرة افراد من اسرته(13) فضلا عن المجاهدين من ابناء الكاظمية.

كما تحرك الى جانبه الشيخ مهدي الخالصي واخوه الشيخ محمد صادق ، وقد شيعتهم مدينة الكاظمية وضواحيها اذ خرج ابنائها لتوديع المجاهدين وهم يهتفون بالاهازيج الشعبية مرددين الشعارات التي تحيي السيد مهدي الحيدري وتمجد قيادته للركب ، فكان منها:

" سيد مهدي ركن الدين نمشي للجهاد وياه نمشي بقوتك يادين واندوس العده بحذاه "

واخرى تهتف بالقول:

"حجة الاسلام طالع للجهاد محصن بموسى بن جعفر والجواد " [14] .

كان الموكب الذي سار نحو جانب الكرخ مكونا من ثلاثمائة مجاهد وكانت بأنتظارهم الباخرة (حميدية) اذ حملتهم مع مائتين من الفرسان الاتراك وذخيرتهم متجهة نحو البصرة حيث القرنة التي وصلوها بعد ستة ايام[15].

كان الموكب يتوقف عند كل مدينة يمر بها ، فيترجل السيد الحيدري والشيخ الخالصي فيتجمع حولهما الناس حيث تلقى بهم الخطب المحفزة على الالتحاق بركب الجهاد منتخين بشيوخ العشائر في تلك المدن فيزداد عدد السفن التي تلحق بالركب [16] .

واصل السيد الحيدري ومن معه من المجاهدين تقدمهم نحو ساحة القتال حتى وصلوا الى مدينة العمارة حيث نزل السيد الحيدري في جامعها الكبير وارتقى المنبر وهويحث الناس على الجهاد ويحرضهم على التضحية والثبات ، ثم سار بموكبه حتى وصل الى منطقة(العزير) التي تبعد عن القرنة – حيث ساحة المعركة – بمسافة خمس واربعين كيلو مترا، اذ التقى فيها القائد العسكري العثماني (جاويد باشا) وتدارس معه في خطط الحرب وشؤون القتال ثم واصل تقدمه وهو يطلب القرنة حيث ساحة القتال ، بيد ان اخبار سقوط القرنة التي وصلته وهو في الطريق اليها اضطرته الى الرجوع الى مدينة العمارة[17].

ابدى السيد الحيدري موقفا صلبا امام القائد العسكري التركي جاويد باشا الذي قرر اخلاء مدينة العمارة بعد سقوط القرنة قائلا له : " اما انا فلا اتحرك من هذا المكان ، واحاربهم هنا حتى اقتل او انتصر" [18] . وهو امر اضطر امامه القائد التركي ان يعدل عن رايه في الانسحاب من العمارة .

مكث السيد الحيدري في العمارة اثني عشر يوما كان خلالها يعمل على تعبئة العشائر وتهيئتهم للقتال ، ثم ابرق بعد ذلك الى العلماء الذين لايزالون في الكاظمية وهم شيخ الشريعة الاصفهاني والسيد مصطفى الكاشاني والسيد الداماد الحسيني يطلب منهم اللحاق به مع اصحابهم المجاهدين . وقد شهدت هذه المدة تغيرات على مستوى القيادة العسكرية العثمانية ، حيث عزل الوالي جاويد باشا في 15 كانون الثاني سنة 1915 نتيجة للخسائر

التي لحقت بالجيش في ارض المعركة ، وحل بدلا عنه القائد (سليمان عسكري بك) الذي غدى قائدا عسكريا فقط [19] .

تحرك السيد مهدي الحيدري الى ساحة القتال ، بعد ان تكاملت جموع المجاهدين في العمارة وعبئت القبائل تعبئة كاملة، وقد نزل السيد الحيدري في مقر القيادة العسكرية على مقربة من القرنة [20] .

توزع المجاهدون بقيادة العلماء على عدة جبهات وهي:

1- القلب وهي جبهة القرنة ، اذ قدها السيد مهدي الحيدري واولاده الثلاثة وشيخ الشريعة الاصفهاني والسيد مصطفى الكاشاني والسيد علي الداماد الحسيني والسيد عبد الرزاق الحلو ومعهم ما يقارب الاربعين الفا من المجاهدين.
2- الجناح الايمن وهو جبهة الشعيبة ،حيث رابط فيها كل من العلماء السيد محمد سعيد الحبوبي والسيد هبة الدين الشهرستاني والشيخ باقر حيدر والسيد محسن الحكيم ومعهم عدد كبير من المجاهدين [21].
3- الجناح الايسر وهو جبهة الحويزة ، وقد رابط فيها الشيخ مهدي الخالصي وولده الشيخ محمد والشيخ جعفر الشيخ راضي والسيد محمد نجل الامام اليزدي والسيد عيسى كمال الدين [22] .

كان القتال بين المعسكرين البريطاني والعثماني في منطقة القرنة يقع على بعد مسافة من مقر العلماء ، فرأى السيد الحيدري بأن بقاء المجاهدين في هذا المكان مخالف للمصلحة الاسلامية العليا، فعزم على ان يتقدم بنفسه واصحابه الى ساحة الحرب، ولما حاول اقطاب المجاهدين منعه قال لهم : "ان هذه الجموع الغفيرة انما جاءت للحرب والدفاع ولا تتقدم بنفسها الى القتال مالم نتقدم بأنفسنا امامهم ونكون معهم في السراء والضراء " [23] .

حفزت هذه المقولة التي تنم عن شجاعة نادرة وموقف عن المباديء لايحيد ، العلماء والمجاهدين الذين بمعية السيد الحيدري على الاندفاع نحو المعركة بعزم واصرار، وبالفعل فقد تقدم السيد وضرب خيامه على مقربة من ساحة المعركة متقدما بذلك على مقاتلي الجيش النظامي العثماني وهو امر اثار الحماس في نفوسهم وشد من عزيمتهم وقواهم على الثبات في المعركة .

كان السيد الحيدري يدرك الهدف من العمل الذي قام به حتى ان خيامه حينما صارت في مرمى نيران العدو وطلب منه اصحابه ان يقوضها لانها اصبحت هدفا للعدو امتنع عن ذلك قائلا : " ان معنويات الجيش كله ستنكسر اذا قوضتم خيامنا وربما ظنوا بأننا قد انسحبنا عن مراكزنا ، فتضعف عزيمتهم وتنهار قوتهم، بل يجب ان تبقى هذه الخيام قوة للجيش ، وراية للاسلام ، وهيبة للمسلمين ، ورهبة للكافرين "[24] .

وقد حصل هذا فعلا في واحدة من المعارك المهمة والتي عرفت بوقعة الاربعاء لانها وقعت في يوم الاربعاء الخامس من ربيع الاول سنة 1333ه/ 1914 م [25]، اذ تمكن الجيش النظامي والمجاهدين من تحقيق الانتصار في هذه المعركة وتكبيد العدو خسائر كبيرة في الارواح والمعدات ، ويعود السبب في ذلك الانتصار الى جملة اسباب يكون من ابرزها هو الروح المعنوية التي بعثها السيد الحيدري عند المقاتلين والتي عبر عنها احد العسكريين الاتراك بقوله :" انا لما اشتد الضغط علينا من العدو هممنا بالانسحاب ، ولكنا كنا كلما ننظر الى خيام السيد قائمة في مكانها تقوى عزيمتنا ويشتد بأسنا ونستحي من الانسحاب ونقول في انفسنا : كيف ينسحب الجيش والسيد واصحابه المجاهدين في الميدان"[26] .

وكان للشيخ مهدي الخالصي (الكبير) دورا كبيرا في المعركة لايقل في اهميته عن دور السيد الحيدري بل وكان مساندا له ومؤازرا في التعبئة والتحشيد، فقد كان على طول طريق الرحلة النهرية باتجاه القرنة يتوقف في محطات يلقي فيها الخطب الحماسية ويطلب من شيوخ العشائر تحشيد ابنائهم للمعركة حتى توجه الى جبهة القرنة في باديء الامر فألتقى بالقائد جاويد باشا الذي اخبره باحتلال الانكليز للقرنة وانسحابه منها الى العمارة عندها آثر الشيخ الرجوع الى العمارة ثم امر ولده الشيخ محمد بالكتابة بأسمه الى شيوخ العشائر يدعوهم الى الجهاد ، وما ان وصلتهم الدعوة حتى لبوا النداء ليتجمع حوله الالاف من المقاتلين من ابناء العشائر[27] .

ادرك الشيخ الخالصي بثاقب بصيرته بعد ان شاهد هزيمة الجند في القرنة بأن التدريب العسكري هو الوسيلة الاجدى نفعا في فترات الراحة وتوقف المعارك، فراح يوجه المجاهدين الى ضرورة الاهتمام بالتدريب على السلاح ، واستدعى ضباط الجيش

لتدريب المجاهدين فتشكلت افواج منهم وعملوا على تدريبهم على فنون القتال والاستخدام السليم للسلاح[28].

ولاجل ان يعطي موضوع التدريب الاهمية ويحفز المجاهدين عليه ويشد من عزيمتهم ، كان يخرج الى ساحة التدريب بنفسه حاملا سلاحه ومتقدما ثلة من العلماء وهو يؤدي الحركات العسكرية المطلوبة اثناء التدريب من النهوض والجلوس والعدو والهرولة والزحف على الارض وهو يطيع اوامر الضباط كأصغر مقاتل لديهم دون ان يانف من ذلك لعلو مقامه وكبر سنه[29].

ولم يكتفِ الشيخ بذلك بل كان يضع الدراسات عن الوضع العسكري ويشخص الاسباب التي ادت الى الهزيمة لكي يستفيد منها القادة العثمانيون ، وكان منها تلك الدراسة التي قدمها للقائد سليمان عسكري بك الذي تولى القيادة بعد عزل جاويد باشا ، والتي رأى فيها دراسة مهمة تنطوي على ادراك لعمق المسؤلية مع نظرة عميقة لمستوى الاحداث على الرغم من ان الشيخ لم يكن عسكريا او درس العسكرية[30] .

رغم الجهود التي بذلها العلماء والمجاهدون الذين كانوا في معيتهم الا ان الهزيمة قد حصلت واكملت القوات البريطانية احتلالها للبصرة باحتلال الشعيبة، كما واصلت زحفها باتجاه العمارة ثم الكوت بعد سقوط القرنة بيدها ، مما اضطر قوات المجاهدين الى الانسحاب الى المدن المقدسة ومنها الكاظمية ليستعدوا لخوض معركة اخرى ومن نوع اخر تلك هي معركة تحديد شكل الحكم بعد سقوط بغداد ، وهذا ما سنوضحه في المحور الثاني.

المحور الثاني : موقف مدينة الكاظمية وعلمائها من الاستفتاء على شكل الحكم في العراق 1918 1920

انتهت الحرب على العراق باحتلال القوات البريطانية بغداد في 31 تشرين الاول 1918م ، ورغم انها واصلت زحفها الى الموصل الا ان الحرب العالمية قد توقفت بين الطرفين المتقاتلين، وعقدت هدنة مودروس في الثلاثين من تشرين الاول سنة 1918،[31]، اذ انتهت بموجبها العمليات العسكرية بين الدولة العثمانية وبريطانيا، وبذلك دخل العراق مرحلة جديدة من مراحل حياته السياسية ، فاصبح منذ هذا التاريخ تحت حكم الادارة البريطانية[32] .

كانت الحكومة البريطانية منقسمة على نفسها حول نوع الادارة التي يجب ان تتبعها في حكم العراق وادارته، حيث كانت تروج في المكاتب الرئيسية لساسة بريطانيا فكرتين او رأيين وهما :

الاول : وكان يدعو الى حكم العراق بصورة غير مباشرة من قبل بريطانيا ، ادارة وحكما. وقد كان يقود هذا الرأي وزارة الخارجية بقيادة اللورد(كيرزن– kerin) .

الثاني : وقد دعى الى الادارة البريطانية المباشرة على العراق مثلته حكومة الهند البريطانية [33] .

كان آرنولد ويلسن (نائب الحاكم المدني في العراق) من انصار الرأي الثاني، لكنه حاول ان يوازن بين الاتجاهين وذلك بأجراء استفتاء شكلي يسأل فيه عن رأي الوجهاء وليس عامة الشعب ، فقدم نتيجة لذلك مقترح الى حكومة الهند البريطانية في الرابع والعشرين من تشرين الثاني سنة 1918 ينص على :" ان يتفق الجميع على استمزاج رأي البلاد قبل اتخاذ اي قرار يصار اليه حقا... " ، ووافقت الحكومة البريطانية على المقترح بعد اربعة يام من تقديمه، وقد تضمن ثلاثة اسئلة هي :

1- هل يرغبون باقامة دولة عربية واحدة تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل الى الخليج العربي تحت الوصاية البريطانية.
2- هل يرغبون بتنصيب امير عربي على رأس هذه الدولة .
3- فاذا وافقوا فمن الامير الذي يفضلونه[34] .

لم تجر الامور كما كان يريد لها ولسن ، اذ لم يقتصر الاستفتاء على الوجهاء بل شاركت فيه العديد من ابناء المجتمع من مختلف الشرائح، كما انه لم يقتصر على مدن محددة بل شمل معظم مدن العراق ، وكان للمدن المقدسة النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء اهمية كبيرة في مناقشة هذه الاسئلة والتي تطورت نحو طرح اسئلة اخرى او تعديل بعض ما جاء في الاسئلة الاصلية. وقد كان لمدينة الكاظمية ممثلة بالعلماء والوجهاء والنخب المثقفة الوطنية موقفا واضحا من هذه الاسئلة سيتم تفصيله الان .

ففي الخامس من ربيع الثاني سنة 1337ه الموافق للثامن من كانون الثاني سنة 1919 عقد اجتماع كبير في منزل احد وجهاء مدينة الكاظمية وهو(اغا حسن النواب) حضره مجموعة من العلماء والوجهاء وأبناء المدينة ، كما حضره عدد من المسؤولين

البريطانيين وكان في مقدمتهم الحاكم العسكري بلفور الذي بين في هذا الاجتماع بأن العراقيين يرغبون في بقاء البريطانيين حكاما لهم [35]، وهذا ما اثار حفيظة الحاضرين من علماء ووجهاء وكان في مقدمتهم الشيخ مهدي الخالصي (الكبير) الذي انتفض بوجه الحاكم العسكري موصلا كلامه له من خلال احد الجالسين الى جانبه وهو السيد محمد مهدي بن السيد اسماعيل الصدربقوله :" قل لبلفور اذا كان الامر كما يقول فليكف عن منع مخابراتنا مع العراقيين لنرى رايهم..."[36].

ومما يجدر ذكره هنا بان قوات الاحتلال البريطاني قد منعت المخابرات البرقية والمكاتبات بين المدن العراقية خشية ان تمتد الاصوات الرافضة لحكم الانكليز المباشر الى مدن عراقية اخرى ، حتى انهم كانوا يذيعون في كل مكان ان العراقيين صمموا في جميع البلدان على انتخاب الانكليز لحكم العراق ، كما اتخذ ارنولد ولسن التدابير اللازمة للتأثير على الناس بمختلف الوسائل وتزييف المضابط المقدمة اوتمزيقها عند الحاجة معتمدا في ذلك على الحكام السياسيين ومعاونيهم في المدن العراقية[37] .

كما انتفض السيد محمد الصدر الذي حضر الاجتماع مبينا ان الحركة التي تجري في البلاد هي حركة سلمية يراد منها تاليف حكومة وطنية تستند الى التصريح البريطاني الفرنسي القاضي بحق الشعوب بانتخاب ادارة وطنية لحكم البلاد [38] ، ومؤكدا استنادا لذلك على مطلب الحاضرين في الاجتماع الذي يتلخص في عقد مؤتمر وطني يمثل الامة، على ان ينتخب اعضاؤه من كافة اهالي البلاد العراقية وفقا لاصول تأليف المؤتمرات ، على ان تكون مهمته التفاوض مع حكومة الاحتلال للبت في شكل الحكومة ومنح الحرية في المخابرات بين مختلف المدن العراقية وان تطلق الحرية للصحافة[39] .

دونت هذه المطالب الشفوية على شكل مذكرة اوعريضة وجهت الى نائب الحاكم المدني في العراق اذ جاء في نصها الاتي :" بسم الله الرحمن الرحيم ، بناءا على الحرية التي منحتنا اياها الدول العظمى وفي مقدمتهن الدولتان الفخيمتان انكلترا وفرنسا وحيث اننا ممثلوا جمهور كبير من الامة العربية العراقية المسلمة فأننا نطالب ان تكون للعراق الممتدة اراضيه من شمال الموصل الى (خليج البصرة) حكومة عربية اسلامية يرأسها ملك عربي مسلم هو احد انجال جلالة الملك حسين على ان يكون مقيدا بمجلس تشريعي وطني والله ولي التوفيق "[40] .

وقعت المضبطة او العريضة من قبل عدد من رجال الدين والوجهاء في الكاظمية بلغ عددهم كما يذكر عبد الرزاق الحسني مائة وثلاث واربعون مندوبا ، كان في مقدمتهم الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمد مهدي صدر الدين والسيد احمد ال سيد حيدر والسيد حسن الصدر والسيد محسن ال سيد حيدر والشيخ عبد الحسين آل ياسين والسيد ابراهيم السلماسي والحاج عبد الحسين الجلبي [41] .

ولم يخلُ الاجتماع من العناصر المعارضة التي كانت ترى ان من الضروري للعراق ان يدار من قبل حكومة انكليزية وهذا ما دفع بعض التجار والوجهاء وبعض المنتفعين من سلطات الاحتلال – كما يذكر ذلك عبد الرزاق الحسني – الى الانسحاب من الاجتماع وتنظيم مضبطة مضادة تطالب باستمرار الحكم البريطاني وقد وقعت من قبل السيد جعفر عطيفة والشيخ حسن السهيل والشيخ محمد السهيل والحاج عبد الرزاق الصراف وبمشاركة بعض الرعايا البريطانيين من الهنود [42] .

كان للعلماء في النجف وكربلاء و مدينة الكاظمية دورا مهما في رفض ما كان يطرحه البريطانيون ويروجون له من ان العراقيين يرغبون بالادارة البريطانية لتحكم العراق وكان في مقدمة ذلك الفتوى التي اصدرها في العشرين من ربيع الثاني سنة 1337ه الموافق للثالث والعشرين من كانون الثاني 1919م المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي والتي نصت على : " ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب او يختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين " [43].

اثار ذلك موجة من الغليان الشعبي الرافض للادارة البريطانية والمؤيد بقوة لحكم تحت رئاسة احد انجال الشريف حسين على ان يكون مقيدا بدستور، حتى تعقدت امور الاستفتاء في كربلاء والكاظمية مما اضطر سلطات الاحتلال الى استعمال اساليب القمع والاكراه ، وقد اشارت الى ذلك الـ(مس بيل) في احد تقاريرها الذي رفعته الى الادارة البريطانية بالقول :"...ان المجتهدين في الكاظمية وكربلاء حرموا على المسلمين التصويت لغير تشكيل حكومة اسلامية، فبلغ الاختلاف حدا اوقف سير الاستفتاء..."[44] .

لذا فقد جاءت نتائج الاستفتاء على عكس ما كانت تتمناه وتروج له الادارة البريطانية في العراق ، وتشكلت بالفعل حكومة وطنية مقيدة بدستور ويرأسها احد انجال الشريف الحسين بن علي شريف مكة.

الخاتمة :

يخلص الباحث في نهاية البحث الى ان مدينة الكاظمية ممثلة برجال الدين والوجهاء والشخصيات الوطنية وابنائها كانت سباقة الى مقاومة الاحتلال البريطاني حتى قبل ان تنهض بغداد ذاتها لمقاومة الاحتلال ، وقد كان لمرجعيها السيد مهدي الحيدري والشيخ مهدي الخالصي الاثر البالغ في تحفيز الناس وحثهم على الجهاد.

كانت المواقف التي اداها كل من المرجعين رغم كبر سنهما تدل دلالة اكيدة على الايمان الراسخ بالمباديء التي من اجلها اصدروا فتاواهم وتقدموا الصفوف للجهاد، كما ان امتناع السيد الحيدري عن اخذ اي من المعونات لمقاتليه من القائد العسكري العثمانيو وما قام به الشيخ الخالصي بتقدمه المقاتلين للتدريب الادليل على ان الخروج للجهاد لم يكن الافي سبيل الله والدفاع عن ارض العراق ومقدساته .

وان ما جرى في الاستفتاء على شكل الحكم لهو دليل اخرعلى ما كان يتمتع به ابناء الكاظمية من روح وطنية لا تقبل الاستسلام، وهذا ما حصل حينما تحدثوا بما يطمحون اليه امام الحاكم العسكري البريطاني دون تردد او رهبة كونهم مؤمنين بقضية عادلة وهي ان يحكم العراق من قبل ابناءه وبقيادة من البيت الهاشمي الذي مثلة الملك فيصل بن الشريف حسين شريف مكة .

الهوامش

1- ستيفن همسلي لونكرك، العراق الحديث من سنة 1900 1950 ،ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، (بغداد: مطبعة الحسام، 1988)، ج1 ، ص163 .

2- احمد الحسيني ، الامام الثائر السيد مهدي الحيدري ،ط2 ،(النجف :المنتدى الحيدري ،1424ه) ، ص29 .

3- وقد عبر عن ذلك محمود شكري نديم بقوله :" اثبتت الوقائع ان الخصومات التي كانت بين العراقيين انفسهم او بين العراقيين والادارة العثمانية لم تكن اكبر من خصومات جانبية عديمة القيمة والاثر عندما دق نا قوس الخطر ودعا الداعي الى الجهاد ." محمود شكري نديم ، حرب العراق 1914 1918 ،(بغداد : شركة النبراس ، 1954)، ص29 ص30 .

4- احمد الحسيني ، المصدر السابق ، ص 29 .

5- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،(طهران : مكتبة الصدر ، 2004)، ج4 ، ص154 .

6- المصدر نفسه ، ص 154 .

7- احمد الحسيني ، المصدر السابق ، ص 45 .
8- محمد محمد مهدي الخالصي ، بطل الاسلام ،(طهران : مركز وثائق الامام الخالصي ، 2007)، ص105ص106 ؛ علي الوردي ، المصدر السابق ، ص 154 .
9- كان وفد النجف الى البصرة والذي تحرك من الكاظمية مؤلفا من : الشيخ فتح الله شيخ الشريعة ، والسيد علي الداماد الحسيني ، والسيد مصطفى الكاشاني ، وموفدي السيد محمد كاظم اليزدي ولده محمد والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والسيد اسماعيل اليزدي .
10-حسن الاسدي، ثورة النجف على الانكليز ، (بغداد : دار الحرية ، 1975) ،ص91 .
11- علي الوردي ، المصدر السابق ، ص154 .
12- علي البازركان ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، ط2 ،(بغداد : مطبعة الاديب ، 1991) ، ص 51 .
13- كان مع السيد مهدي الحيدري عشرة اشخاص من افراد اسرته ، ثلاثة من اولاده وهم :السيد اسد الله والسيد احمد والسيد راضي ، واربعة من ابناء اخيه وهم : السيد محسن والسيد صادق والسيد عبد الكريم والسيد عبد الامير ، واثنان من ابناء عمه وهما :السيد عبد الحسين والسيد جعفر . احمد الحسيني ، المصدر السابق ، ص44 .
14- علي الوردي ، المصدر السابق ،ص156 ص158 .
15- المصدر نفسه ، ص158 .
16- محمد مهدي الخالصي ، المصدر السابق ، ص48 .
17- احمد الحسيني و المصدر السابق ، ص48 .
18- المصدر نفسه و ص49 .
19- كان الوالي في العراق يجمع بين القيادتين الادارية والعسكرية ، ولكن بعد فشل الوالي جاويد باشا عسكريا وعزله ، تم فصل القيادتين اذ عين سليمان نظيف بك واليا على العراق ، في حين اسندت القيادة العسكرية الى سليمان عسكري بك . محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية، (بغداد : المكتبة العصرية ، 1924)، ج1 ، ص102 .
20- احمد الحسيني ، المصدر السابق ، ص50 .
21-للمزيد من التفاصيل عن الحرب في جبهة الشعيبة ، ينظر : هبة الدين الحسيني الشهرستاني ، اسرار الخيبة من معركة الشعيبة ، دراسة وتحقيق الدكتور علاء حسين الرهيمي والدكتور اسماعيل طه الجابري ، (النجف الاشرف: دار الضياء للطباعة ، 2008) .
22- احمد الحسيني ، المصدر السابق ، ص52 .
23- المصدر نفسه ، ص53 .
24- المصدر نفسه ، ص55 .
25- كما عرفت ايضا بمحاربة الروطة لانها وقعت بالقرب من نهر يسمى(نهر الروطة) الى الغرب من القرنة .

26- احمد الحسيني ، المصدر السابق ، ص55 .
27- محمد مهدي الخالصي ، المصدر السابق ، ص109 .
28- المصدر نفسه ، ص112 .
29- المصدر نفسه ، ص112 .
30- المصدر نفسه ، ص114 .
31- هدنة مودروس : وقعت في 30 تشرين الاول 1918 بين دول الحلفاء ودول المحور (الوسط) وقد نصت على ايقاف العمليات العسكرية والسماح لقوات الحلفاء بأحتلال الاجزاء التي تراها مهمة في الستراتيجية العسكرية . عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري ، الموسوعة السياسية ، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1974) ،ص373 .
32- للمزيد من التفاصيل ينظر : اي . تي . ولسن ، بلاد ما بين النهرين بين ولائين ، ترجمة وتعليق فؤاد جميل ،(بغداد : مطابع دار الجماهير ،1971) ،ج1 .
33- المصدر نفسه ، ص158 .
34-عبد الله فياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920 ،(بغداد : مطبعة الرشاد ، 1963)، ص167.
35- محمد مهدي البصير ، تاريخ القضية العراقية ،ط2 ،(لندن : دار اللام ، 1990)، ص49 .
36- محمد مهدي الخالصي ، المصدر السابق ،ص156 .
37- المصدر نفسه ، ص156 ؛ جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة – قسم الكاظمين –،(بغداد : دار التعارف ،1967) ،ص282 .
38- صدر في الثامن من تشرين الثاني سنة 1918 التصريح البريطاني الفرنسي الذي نص على تأسيس " حكومات وادارات وطنية حرة تنتخب وفق رغائب الامة وتستمد سلطتها منها للاقوام والبلاد المنسلخة عن الدولة العثمانية وحكمها الجائر" . ينظر نص التصريح في : محمد مهدي البصير، المصدر السابق ، الملاحق .
39- عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ،ط6 ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 1992 ،ص118 .
40- محمد مهدي البصير، المصدر السابق ،ص50 .
41- عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق ،ص64 –ص65 ؛ محمد مهدي البصير ، المصدر السابق، ص50 .
42- عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ص65 .
43- جعفر الخليلي ، المصدر السابق ، ص286 .
44- غيرترود بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، (بيروت : مطبعة دار الكتب ، د.ت) ،ص465 .

مصادر البحث

1- الاسدي ، حسن ، ثورة النجف على الانكليز ، (بغداد : دار الحرية ، 1975) .
2- البازركان ، علي ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ،ط2 ،(بغداد : مطبعة الاديب، 1991) .
3- البصير، محمد مهدي، تاريخ القضية العراقية ، ط2 ، (لندن : دار اللام ، 1990) .
4- بيل ، غيرترود ،فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، (بيروت :مطبعة دار الكتب ، د . ت) .
5- الحسني ، عبد الرزاق ، الثورة العراقية الكبرى ،ط6 ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 1992).
6- الحسيني ، احمد ، الامام الثائر السيد مهدي الحيدري ، ط2 ،(النجف الاشرف : المنتدى الحيدري ،2003) .
7- الحسيني ، هبة الدين ، اسرار الخيبة من معركة الشعيبة ، دراسة وتحقيق الدكتور علاء حسين الرهيمي والدكتور اسماعيل طه الجابري ،(النجف الاشرف : دار الضياء للطباعة ، 2008) .
8- الخالصي ، محمد مهدي ، بطل الاسلام ،(طهران : مركز وثائق الامام الخالصي ، 2007) .
9- الخليلي، جعفر ،موسوعة العتبات المقدسة – قسم الكاظمين –(بغداد : دار التعارف، 1967) .
10- العمري ، محمد طاهر ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، (بغداد : المكتبة العصرية، 1924) ، الجزء الاول .
11- فياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى 1920، (بغداد: مطبعة الرشاد ، 1963) .
12- الكيالي، عبد الوهاب والزهيري، كامل، الموسوعة السياسية ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1974) .
13- لونكرك ،ستيفن همسلي ، العراق الحديث من سنة 1900 – 1950 ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي ،(بغداد : مطبعة الحسام ، 1988) ، الجزء الاول .

14- نديم ،محمود شكري ، حرب العراق 1914 – 1918 ،(بغداد : شركة النبـــراس ، 1954) .
15- الوردي ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،(طهـــران : مكتبـــة الصدر، 2004) ، الجزء الرابع .
16- ولسن . اي . تي ، بلاد مابين النهرين بين ولائين ، ترجمة وتعليق فـــؤاد جميـــل ، (بغداد : مطابع دار الجماهير ،1971) ، الجزء الاول .